http://virtuelcampus.univ-msila.dz/leltp/?=212

المجلّد: 01 العدد: 02 (2021) ص29–44

لسانيات النص في الثقافة العربية المعاصرة بين التراث والمقترحات الغربية الحديثة

Textual Linguistics in contemporary Arabic culture between heritage and modern Western proposals

د. مسعود ساكر

ج. أحمد بن يحي الونشريسي–تيسمسيلت (الجزائر)

mesaker2@gmail.com

د. إدريس بوشيبة

ج. 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

bouchaidriss@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2021/05/12

تاريخ القَبول:
2021/05/25

الكلمات المفتاحية:

- ✓ لسانيات النص
- ✓ الثقافة العربية
- ✓ التراث
- ✓ المعاصرة

الملخّص:

تتناول هذه الدراسة واقع لسانيات النص في الدراسات العربية المعاصرة وذلك من خلال تتبع ما أنتجته المصادر العربية الحديثة من تراكمية معرفية تجمع بين إرث الماضي وحاضر المناهج الغربية الحديثة. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأثر الذي خلفته هذه التراكمية في المشهد اللساني العربي المعاصر من جهة، والكشف عن معالم لسانيات النص في الكتابات العربية المعاصرة من جهة أخرى، لتخرج هذه الدراسة بأن واقع لسانيات النص/ الخطاب في الدراسات العربية المعاصرة رغم ما حققته من تراكمية معرفية إلا أنها لم تبلغ المرحلة التقويمية التي بلغتها نظيرتها الغربية، ويرجع ذلك إلى محاولة تطويع المقترحات النحوية العربية الموروثة في القواعد والمبادئ النصية الغربية الحديثة، وإلى الإشكال المصطلحي النصي الذي خلف أثره السلبي في النهوض بالدرس النصي العربي المعاصر.

Article info

Received:
12/05/2021

Accepted:
25/05/2021

Abstract:

This study deals with the reality of textual linguistics in contemporary Arab studies, by tracing the accumulation of knowledge produced by modern Arab sources that combine the legacy of the past with the present of modern Western

curricula.

It aims to highlight the impact of this accumulation on the contemporary Arab linguistic scene on the one hand, and to reveal the features of the linguistics of the text in contemporary Arab writings on the other hand, so that this study concludes that the reality of text / discourse linguistics in contemporary Arab studies despite the cumulative achievements it has achieved Knowledge, but it did not reach the corrective stage that its Western counterpart has reached, and this is due to the attempt to adapt the Arabic grammatical proposals inherited in modern Western textual rules and principles, and to the textual terminological problem that left its negative impact in the advancement of the contemporary Arabic textual lesson.

Keywords:

- ✓ *Linguistics of Text*
- ✓ *Arab Culture*
- ✓ *Heritage*
- ✓ *Contemporary*

مقدّمة: شهد الدرس اللساني الغربي مناهج ومقاربات ابتداء من الثورة المنهجية التي قادها الشكلانيون الروس ودوسوسير، فتطورت بعدهما المناهج والدراسات التي تُعنى بالبحث عن النماذج اللغوية، إلا أن هذه المناهج لم تعنى بالبحث في النصوص وإنما توقفت بالبحث في الجمل ومعانيها وبعد مرور عقد من الزمن أصبحت الحاجة ملحة لتجاوز البحث الجملي إلى البحث النصي وفق أغراض ومقاصد إنتاجية كامنة في النصوص، ومنه ظهرت مقاربات تؤسس للنظرية النصية، وبعدما تطورت أسس هذه النظرية نقلت إلى الثقافة العربية المعاصرة بشكل مُيسر ومنظم للمتلقي العربي ليتمكن من فهمها والانجذاب إليها، وهذا النقل شهد أطرا منهجية ونظرية سواء من حيث التكريس، أو محاولة التأسيس في الساحة العربية المعاصرة، فما هو التأسيس الإبستيمي للنظرية النصية الغربية؟ وهل حققت اللسانيات النصية العربية المعاصرة نظرية منهجية، ورؤية معرفية وفق تطور المعرفة الإنسانية؟ وماهي الإشكاليات والعوائق التي شهدتها اللسانيات النصية العربية في ظل مقترحات التراث، والمقاربات الغربية المعاصرة؟

1. لسانيات النص في الدراسات الغربية (مقارباتها وفوائد تطبيقها): لا يخفى على كثير من الدارسين أن الدعوة إلى العناية بالبعد النصي في الدراسات الغربية، ليست وليدة الأمس إذ يشير "فاردينا‌ند دوسوسير" في كلامه عن الخطاب "إلى أن الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معينة ما لم توضع في علاقات مع بعضها"[1]. ولا يعد "دوسوير" اللغوي الوحيد الذي أدرك أهمية المظهر النصي أو الخطابي للغة، بل فيه عديد من اللغوين من أكد على ضرورة تأسيس علم يدرس النص، ومن بين هؤلاء نجد اللغوي الدنماركي: "لويس همسلاف" الذي يرى بأن: "تحليل النص يجب أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للساني"[2]

أما النشأة الحقيقية للسانيات النص(la linguistique textulle) فكانت في نهاية الستينات من القرن العشرين، حيث ظهر منهج لساني يسميه بعض اللغويين "نحو

النص" ويسميه البعض الآخر بعلم النص؛ يتكفل هذا المنهج بدراسة بنية النصوص وكيفية اشتغالها. وكذاك من منطلق مسلمة منطقية تقضي بأن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، وإنما هو وحدة لغوية نوعية (une unite linguistique spicifique) ميزتها الأساسية الاتساق والترابط[3]. وفي هذا يقول: "كيرستنآدمتسيك في كتابه (لسانيات النص) تعد لسانيات النص فرعا حديثا نسبيا لعلم اللغة، لم يتطور إلا في الستينات من القرن العشرين، وتدل عملية التتبع التاريخي للعلم على أنه ربما يقصد بمصطلح لسانيات النص (Textlinguistik) شيء آخر غير كل اشتغال بالموضوع "النص" وشكله اللغوي، ومن البديهي إذن أن يندرج العمل مع النصوص والبحث فيها بوصفها حاملات مادية مهمة لإرث ثقافي ضمن المهام الأقدم لمعالجة نتاجات العقل الإنسانية. ولما كانت النصوص تشكل من اللغة، فإن المرء لا يستطيع أن يشتغل بها على الإطلاق أيضا دون أن يراعي تأليفها اللغوي"[4].

وقد عرفت الدراسات النصية بعد ذلك في السبعينات مزيدا من التطور والضبط المنهجي مع اللساني الهولندي "تون فان ديك" الذي اهتم بأنحاء النص منذ 1972م، ويعد كتابة (النص والسياق) من أهم الكتب التي تؤسس للسانيات النص، أو لسانيات الخطاب، ونحو النص، وقد أثبت "فان دايك" أن الدراسة اللسانية للخطاب من حيث كونها جزءا أعم من دراسة اللغة الطبيعية ينبغي أن تشترك أغراضها ومقاصدها الأساسية مع النظريات اللسانية بوجه عام، ومع علم النحو بوجه خاص"[5]. غير أن الدراسات النصية لم تبلغ أوجها إلا مع اللغوي الأمريكي "روبرت ديبو جراند" في الثمنينات القرن العشرين. ومما ألف في هذا المجال، كتاب "مدخل إلى لسانيات النص" 1981، وجاء فيه إشادة بجهود "فان دايك" في هذا الميدان. وكان قد ألف قبل ذلك كتابا على جانب كبير من الأهمية يحمل عنوان "النص والخطاب والإجراء"[6].

1.1. مقارباتها: يمكن الحديث عن مجموعة من المقاربات النصية واللسانية المختلفة التي اشتغلت على النص والخطاب ويمكن حصرها في ما يلي:

أ- المقاربة المعجمية: لقد تعاملت مع النص في ضوء رؤية دلالية ومعجمية، مستعينة بالإحصائيات، ويعني هذا أن هذه المقاربة كانت تدرس معاني الكلمات، وتهتم بالحقول الدلالية والمعجمية داخل السياق النصي، وقد اهتمت هذه المقاربة المعجمية بتتبع دلالات الكلمات داخل النصوص بصفة عامة، والخطابات السياقية بصفة خاصة، وقد اتكأت هذه المقاربة على التناول الإحصائي للكلمات المكررة، واستجلاء نسبة تواردها في النص."[7]

ب- المقاربة اللسانية التركيبية: ارتبطت هذه المقاربة بالتوزيعي الأمريكي "هاريس" الذي حاول أن يدرس النص أو الخطاب وفق المنهج اللساني التوزيعي، باستعمال المكونات المباشرة وغير المباشرة، ويعني هذا أن "هاريس" كان يدعو لتجاوز الجملة نحو النص أو الخطاب أو المقاطع التي يتكون منها ذلك النص، وقد اعتبر النص جملة كبرى تخضع للمقاييس اللسانية والنحوية نفسها التي تخضع لها الجملة الصغرى. ويعني هذا أن النص يتميز بمستويات عدة: صوتية، وفونولوجية وصرفية، وتركيبية."[8]

2.1. فوائد تطبيقها: يرى "فان دايك" أن أنه بالإمكان أن يكون لعلم النص، فوائد عملية عديدة في المجال التعليمي عامة، وفي المجال اللغة خاصة، حيث أصبح تحليل النصوص، وكذلك التمرن على إنتاجها يمثلان نشاطين مهمين في هذه العملية، وتأتي عملية التركيز على النص كدعامة بيداغوجية بعد فشل الطرائق التي اتخذت من الجملة مرتكزا. يقول "فان دايك" فلا يجب أن يفهم تلميذ ما جملا فقط، بل يجب أن يتعلم أيضا: على أي نحو تنظم المعلومات في نص أطول. في مقالة صحفية مثلا، كما يمكن أن يتعلم هذه المهارة بشكل فعال ما أمكن ذلك، كيف يلخص نصوصا تلخيصا سليما وصحيحا وأخيرا كيف تترابط الأبنية النصية مع الوظائف البراغماتية والاجتماعية

للنصوص. وتمثل هذه الجملة الأخيرة من هذا القول إشارة واضحة إلى أنه لا يكفي أنه يكون التلميذ قادرا إنتاج نصوص متماسكة وسليمة في بنيتها"[9].

ومن المهام الأخرى لعلم النص، في مجال تدريس النصوص، العمل على تيسير مقروئية النص ولقد كانت هذه العملية ترتكز في الماضي على معايير جزئية وسطحية تنظر في الكلمات وغرابتها والجمل وتعقدها، أما قضية تنظيم النص ككل، وكذلك العوامل المتصلة بالمحتوى فقد كانت مهملة تماما. ويمكن حصر أهم القوائد التطبيقية فيما يلي:[10]

- علم النص وتدريس النصوص؛
- علم النص والتعبير الكتابي؛
- علم النص في دراسة الأدب.

2. البحث النصي العربي المعاصر (مساهماته وإشكالاته):

1.2. ميلاد النظرية النصية في الثقافة العربية المعاصرة: ظهرت اللسانيات النصية في الثقافة العربية المعاصرة بعد تراكمية معرفية نشأت مع المناهج اللسانية السابقة، وهي المناهج التي ظهرت في الساحة الغربية ابتداء من عشرينيات القرن الماضي، إذ شهدت الساحة اللغوية العربية مؤلفات نظرية تُعرف بالمناهج الغربية، وتستقصي دلالتها الفكرية والمعرفية. وهذه المؤلفات شهدت تنوعا في الثقافة العربية مع بداية السبعينات وثمانينات القرن الماضي، وعندما برزت اللسانيات النصية في الغرب واشتهرت خاصة مع أعمال هاليداي ورقية حسن، أخذت أعمالهم تدخل إلى الثقافة العربية وأصبحت ثمرة من ثمرات التنمية المستمرة للبحث اللساني.

ومنذ العام 1988 شهد العالم العربي أولى المحاولات النصية، وذلك حينما برزت الأطروحة الجامعية التي كانت بعنوان: (مظاهر انسجام الخطاب) قبل أن تطبع سنة 1991، ويتحول عنوانها إلى: (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) للباحث المغربي محمد خطابي. وعمله هذا الذي كان إبداعا جديدا في الساحة العربية كان في نفس الوقت

عبارة عن عمل يُعرف بأعمال النصيين (كبراون ويول) في حديثهم عن انسجام الخطاب والذي يتمظهر بشكل جلي مع السياق؛ الذي يتشكل من متكلم كاتب، ومستمع / القارئ، والزمان والمكان"[11]

وهو مصطلح وإن كان لثقافة العربية المعاصرة أن واكبته مع النظرية السياقة لفيرث الذي بنى أعماله على السياق، غير أن السياق الذي عند براون ويول يرتبط بتأويل، وهذا يعنى أنه يعتمد على المتلقي بوصفه عنصرا من عناصر السياق، فهذان الباحثان" وعلى خلاف كثير من باحثي الانسجام، لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى، شيئا موجود في الخطاب، ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسداته)، وإنّما هو في نظرهما شيء يبنى، إي ليس هناك نص منسجم في ذاته، ونص غير منسجم في ذاته بالاستقلال عن التلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على النص بأنه منسجم، وعلى آخر بأنه غير منسجم، وبإنجلاء هذه المسألة فحسب يمكننا فهم تركيزهما على انسجام التأويل وليس على انسجام الخطاب، وبتعبير آخر يستمد الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير"[12] كما كان له الفضل -محمد خطابي- في التعريف بأعمال ومقترحات "هاليداي ورقية حسن" اللذان درسا اتساق النص في الإنجليزية، وقدموا مقترحات ورؤى منهجية حول اتساق النصوص.

ولم تكن مقترحات فان ديك غائبة، بل كان لها النصيب من دراسة محمد خطابي الذي بين جملة من أعماله خاصة ما تعلق بالترابط بين قضايا الجمل[13]، وبعد أن تتبع المقترحات الغربية على تطور أعمالها ذهب إلى التراث العربي يبحث عما يمكن له أن يرتبط باتساق النصوص في الأعمال العربية الموروثة (النحو، والبلاغة، والنقد، والتفسير، وعلوم القرآن). ليليه في العمل النصي صلاح فضل الذي واكبت أبحاثه أغلب المناهج والمدارس اللسانية السابقة على نظريات تحليل النص/ الخطاب، نحو: البنيوية، والسميائية، والشعرية، والأسلوبية، ولعل هذه الأخيرة -الدراسات الأسلوبية- كان لها التأثير البالغ في

مُجاراة صلاح فضل للمناهج الما بعد البنيوية خاصة في ما طرحته من مفاهيم كالأسلوب باعتبار المتلقي، والذي يعد ثمرة من ثمرات البحث النصي الذي يتجاوز الجملة كتحليل صوري إلى الجوانب البراغماتية التواصلية التي عليها النصوص، إذ ظهر كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) سنة 1992، وفيه غيَّر نظرته للأدب على أنه خطاب نصي كلي، وليس وحدات جزئية مشتتة، كما تصوره الأقدمون، فلم يستطيعوا التعرف الحيوي على خواصه الحقيقية، ومن ثم فإن غطاءه البحثي لا بد أن يستوفي شروط الخطاب العلمي، حتى يتسم بكفاءة احتوائه وقدرة تمثيله، مما يجعله يكف في المقام الأول عن إصدار أحكام القيمة، ليضع مكانها أحكام الواقع وقوانينه التغيرية[14]

وهذا المنطلق جعله يرى من البلاغة العربية الموروثة أنها بلاغة وحدات صغرى لا تتجاوز الأبنية النصية، ومادامت كذلك فهي بلاغة معيار تلتقط الشواهد وتخترعها إن لم تجدها في النصوص الأدبية الحية، وغالبا ما تتكرر الأمثلة والشواهد من كتاب لآخر، ونادرا ما يلجأ البلاغي المتأخر إلى شعراء عصره كي يستمد منهم الشواهد، أو يرى في عملهم أي لون من ألوان المتغيرات، أو مظاهر التطور في المفاهيم.[15]

وتولدت بعد ذلك الأبحاث والدراسات التي حاولت أن تقدم نظرية تحدد مهام لسانيات النص كما وردت في الدراسات الغربية، فبرز الباحث التونسي الأزهر الزناد في مؤلفه الموسوم بـ "نسيج النص"، حاول من خلاله أن يعرض المقاربات الغربية وفق رؤية تنظيرية تبحث في الروابط التركيبية، والروابط الزمانية والإحالية، التي يتكون منها النص بحسب أجناسه المختلفة (شعر، نثر ...)، وأي نص في دراسته وتحليله لا يستطيع أن يتخطى واحدة من الروابط[16] المشار إليها سابقا. ثم توالت بعد ذلك الكتابات التمهيدية التبسيطية التي تروم إلى تقديم المنهج النصي الغربي في مفاهيمه وأسسه النظرية والمنهجية إلى القارئ العربي، ومن هذه الدراسات نذكر جملة من الأعمال:

- إلهام أبو غزالة: مدخل إلى علم لغة النص.

- الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص.
- محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي.
- سعيد بحري: مدخل إلى علم لغة النص.

2.2. تأصيل المبادئ النصية في التراث (رؤية ابستيمية منهجية): شغلت أغلب الكتابات التمهيدية النصية العربية المعاصرة إلى توظيف التراث (على تنوع علومه) في الدراسات النصية وذلك من خلال صياغة المقترحات النحوية والبلاغية والقرآنية في حاضر المناهج النصية الغربية المعاصرة للوصول إلى نتيجة عامة مفادها أن النظرية التراثية العربية القديمة نظرية نصية سبقت كل المقاربات والتطبيقات الغربية الحديثة.

والدافع إلى هذه النتيجة التي اتخذها الباحثون العرب المعاصرون هو إيمانهم بأن "بعض الإسهامات فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوبة عما قدمه الغربيون .... فقد برزت في الدراسات البلاغية والتفسيرية والفقهية والنقدية -بعض الاسهامات-ما يجعلها تعتني بالوحدة الموضوعية للنصوص مكتملة الإنتاج تمثل القرآن والسنة، أو الشعر والنثر، وقد دفع هذا الاعتناء بالدارس إلى التساؤل عن خصوصية اتساقها، وانسجامها، وترابطها، ومناسبتها"[17] وهذه المبادئ حاول الباحثون العرب المعاصرون أن يستخرجوها من المباحث النحوية والبلاغية من جهة، ومن مباحث علوم القرآن والتفسير من جهة أخرى.

أ- إمكانية النحو والبلاغة في دراسة النصوص: إن الإشارات المقامية والمقالية في النحو العربي، ومباحث العطف، والفصل والوصل، وجد فيها اللسانيون مظاهر نصية سبق فيها العرب المناهج الغربية النصية الحديثة.

فزعم رواد الكتابات التمهيدية النصية العربية المعاصرة أن البحث في الجذور أمر ضروري لإيجاد سند تراثي يمنح الأسس الغربية الحديثة غطاء الشرعية للتواجد في حرم الثقافة العربية فالبلاغيون في نظر باحثي العرب اهتموا بمسألة الفصل والوصل بصورة أعمق من النحاة، وأقرب إلى الدرس اللساني النصي الحديث، "فركزوا اهتمامهم على

الجوانب المعنوية والبراغماتية المتحكمة في تنظيم القول وترتيب الجمل، وهو أفرز ما يسمى بنظرية النظم التي اهتمت بكيفية ربط الجمل وترابطها عند الجرجاني، وكذلك بكيفية ربط النص (في القصيدة) وترابطه"[18]

ويرى محمد الشاوش أن عبد القاهر الجرجاني حينما يذكر الأبواب التي يترتب على اختلاف نظمها اختلاف معناها، منها: الخبر، والشرط، والجزاء، والحال، وهذه الأبواب جميعا عندما يضيف إليها ضربين من المباحث، الأول في قوله:"ويُنظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما ما حقُّه الوصل موضع(الواو) من موضع (الفا)، وموضع(الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكنَّ) من موضع (بل)"[19]. أما الضرب الثاني ففي قوله"ويتصرف في التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار، والإظهار فيصيب بكلّ من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"[20].

أنّ هذا الترتيب في نظر محمد الشاوش لم يكن وليد الصدفة، وإنما هو رؤية واعية للأصول المتحكمة في نظم الجملة وما يتجاوزها من تركيب، وهو الأمر الذي دعاه إلى القول:"لعمري إنك لواجد في هذا الكلام أفضل تخطيط وأحسن تصنيف لما أصبح يُسمى بنحو النص أو تحليل الخطاب ومسائله، وأفضل تفصيل للأبواب والمسائل التي أعتُبرت محققة لاتّساق النص وترابط أجزائه، يكفي لإدراك ذلك أنتقارن بين هذهالمسائل التي أقام عليها هاليداي ورقية حسن مظاهر الاتّساق في مؤلفهما (cohesions)وهذا المشروع الذي أشرنااليه عند الجرجاني تخطيط لا يضاهيه إخراج في استعاب التصنيف النحويللعلاقات الجملية، والظواهر التي تؤسسها وتقوم عليها لو أخرج مؤلف في النحو لأغنى عن جميع ماوضع في نحو النص"[21].

ب- الجذور القرآنية وتصورات لسانيات النص: شَغل إعجاز القرآن الكريم أهل العلم واللغة والدين، فبحثوا في أغراضه، ومقاصده وأسلوبه، ومعانيه، وألفاظه،

وبلاغته،وحاولوا اكتشاف الروابط العقلية واللغوية وفق اجتهادات تستهدف الكشف عن وجه الحكمة الإلاهية.

وهذه المحاولات قادت الكثير من العلماء العرب والمستشرقون إلى التسليم بأن القرآن يعرف ترتيبا خفيا، وأن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، وهذا التنوع مُرتبط بوحدة المجموع حتى أنه يمكن القول بأن القرآن في تلاحمه، وانسجامه ووحدته كالكلمة الواحدة، لأن انسجامه خفي، وهذ الرأي للمستشرق الفرنسي جاك بيريك[22]. ومن إعجاز القرآن ووحدته كان لبعض الروافد التي تحدث عنها باحثوا الإعجاز أن تتفق ومبادئ لسانيات النص على غرار عِلم المناسبة الذي يبحث تلاحم أجزاء بين الآي والسور.وهذا الرافد على أهميته "يري فيه بعض الباحثين العرب أن مقاربة النص القرآني بهذه الطريقة تقرب اقترابا شديدا من مبادئ لسانيات النص"[23]، وينقل محمد عبد الباسط عبد الصمد قول لسيوطي في لطائف القرآن بأنها مودعة "في الترتيبات والروابط"[24] بأنه يوشك أن يستوعب مجمل استراتيجيات تحليل الخطاب المعاصر.

3. إشكاليات لسانيات النص في الثقافة العربية المعاصرة:

1.3. إشكالية مفهوم النص: إنَّ أوَّل الإشكاليات التي اصطدمت بها اللسانيات في الثقافة العربية هو محاولة تحديد المفاهيم والمصطلحات؛ إذ إنّ مصطلح النص في طابعه التراثي العربي الأصيل يخالف مصطلح النص الذي عليه اللسانيات النصية الغربية المتجاوز للجملة.

فمفهوم النص في الثقافتين لا يترادف من حيث الدلالة، لكون الدراسات الأدبية العربية القديمة لم تكن تستعمله بوصفه مفهوما جامعا، بل كانت تسمي كل تجلّ نصي بحسب انتمائه إلى جنس أو نوع معين، وهكذا نجد القدماء يتحدثون عن القصيدة، أو النتفة، أو القطعة، أو الخطبة، أو الرسالة، أو المقامة.[25]. والنص عند نحاتنا القدماء دال

"على الحدث القولي المنشئ للمعنى، والنص في الدراسات النصية الحديثة كل متكامل يدل على الإنتاج المتميز بالقصد والأهداف"[26]

فعندما نقول أن النص عند النحاة يعني الحدث القولي المنشئ للمعنى، يعني أنه عملية يقوم بها المتكلم أو هو وجه من وجوه العملية، والنص في الدراسات النصية بأنه كل متكامل لا يشترط طول النص وحجمه، لأن "الحِكم والأمثال هي نصوص مثلها مثل المقامات، أو الخطب، أو المعلقات، أو غيرها من النصوص الطويلة"[27]، ويدل على البناء الذي يتجاوز حدود الجملة المفيدة، ونُعضد ما أشرنا له سابقا باختلاف دلالة المصطلح في الدرسين بقول لسعيد يقطين حينما يقول:" وفي العصر الحديث تم توظيف مصطلح النص في الدراسات الأدبية العربية بناء على الاستعمال الجاري في الجامعات الغربية، وهو مختلف كل الاختلاف عما تقدمه لنا التصورات العربية القديمة المتعددة"[28].

والفرق بين استعمال دلالة النص في المقترحات العربية، والغربية الحديثة "وضع المتلقي العربي في حالة اضطراب يعيشها جراء قراءاته أو سماعه لهذا المصطلح، وهو يتردد في جميع الدراسات النقدية الحديثة، وذلك لعدم مقدرته على الربط بين المفهوم المعجمي العربي الذي يعرفه، وبين ما تبثه الحقول المعرفية في المصطلح من مفاهيم جديدة"[29].

2.3. إشكالية الفوضى المصطلحية:تنبه إلى هذا الإشكال بعض الباحثين العرب الذين اتخذوا من المرجعيات النقدية شكل من أشكال التأريخ للعلم، ومن هؤلاء نقتصر على حافظ إسماعيل علوي الذي يرى "أن الترجمة في لسانيات النص تطرح قضايا وإشكالات كثيرة لا تختلف عن تلك التي تطرحها الترجمة في المجالات المعرفية الأخرى"[30].

ومن هذه الفوضى المصطلحية التي شهدتها الدراسات النصية العربية المعاصرة نذكر نماذج لتعدد المصطلحي في المؤلفات:(لسانيات النص، لسانيات الخطاب، اللسانيات النصية، اللسانيات الأدبية، علم اللغة النصي، علم اللغة النظامي، نحو النص...)وهذا التعدد يرى فيه خليفة الميساوي أنها مركبة من رأس ومخصص له، ويبدوا أن الاختلاف

الأكثر بُروزا في المستوى الأول من المصطلح، وهذا يعود إلى اختلاف المدارس الغربية التي اعتمد عليها الدارسون العرب، فهي ترجمات لمصطلحات غربية من الأنجليزية أو الفرنسية، وهي كذلك تعبر عن المفاهيم التي اعتمدها كل مهما"[31]، وتدعوا الباحثة الجزائرية نعيمة سعدية إلى التمسك بمصطلح لسانيات النص كترجمة أنسب "لأنه مصطلح جامع يعكس الأطر المعرفية، والآليات الإجرائية للعلم، كما يعكس الاهتمامات بنموذج النص داخل اللسانيات"[32].

خاتمة: في خاتمة هذا الجهد المتواضع في رحاب لسانيات النص في الثقافة العربية المعاصرة بين التراث والمقترحات الغربية الحديثة، نصل إلى عدد من النّتائج، وهي كالآتي:

1- لسانيات النص كعلم غربي النشأة يُعتبر علم متداخل الاختصاصات مُتسع التنظير، لكون هذه النظرية تعتمد على حقول معرفية متعددة.

2- إن لسانيات النص كنشأة في الدراسات العربية لم تكن بمعزل عن الرافد الغربي الذي أسس مقاربات وتطبيقات تهتم بوحدة النصوص لا الجمل.

3- اقتصر تلقي النظرية النصية في الثقافة العربية على النقل، دون تأسيس نظرية نصية عربية لها خصوصيتها الفكرية والمعرفية.

4- إن تأصيل المقولات النصية الغربية في التراث العربي مغالطة معرفية تسيئ لعلم الأوائل، لكون النظرية النصية الغربية قابلة للتطور، فتموت مفاهيم، وتحيا مفاهيم أخرى.

5- لسانيات النص في الثقافة العربية المعاصرة كغيرها من المفاهيم اللسانية البارزة في الدراسات العربية تُعتبر تكريس لا تأسيس.

الهوامش:

[1]. دي سوسير، فاردیناند، 1986م، محاضرات في الألسنة العامة، دب، دط، ص186.

[2]. مصلوح، سعد، (1990م)، من نحو الجملة إلى نحو النص، دب، دط، ص 407.

[3]. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، (دس)، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، دب، دط، ص59.

[4]. آدمتسيك، كريستن، (2009م)، لسانيات النص، القاهرة-مصر، ط1، ص15.

[5]. حمداوي، جميل، (2019م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، المملكة المغربية، ط1،ص63.

[6]. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، ص63.

[7]. حمداوي، جميل، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، ص93.

[8]. المرجع نفسه، ص93.

[9]. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، ص117.

[10]. ينظر: المرجع نفسه، ص115.

[11]. ينظر: خطابي، مُحَمَّد، (2006م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، ص6.

[12]. المرجع نفسه، ص387.

[13]. ينظر: خطابي، مُحَمَّد، لسانيات النص، ص31.

[14]. ينظر: فضل، صلاح، (1996م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، لبنان، ط1، ص4.

[15]. ينظر: المرجع نفسه، ص139.

[16]. ينظر: دي بوجراند، روبيرت، (1998م)، النص والخطاب والإجراء، القاهرة، ط1، ص332.

[17]. الميساوي، خليفة، (2013م)، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، الرباط-المغرب، ط1، ص193-194.

[18]. صبري، خالد حميد، (2015م)، لسانيات النص في الدراسات العربية الحديثة، الرباط ، ط1، ص163.

[19]. الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن، (دس)، دلائل الإعجاز، دب، ط3، ص82.

[20]. المرجع نفسه، ص82.

[21]. الشاوش، مُحَمَّد، (2001م)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس، ط1، ص210.

[22]. لخلف، نوال، (2007م)، الانسجام في القرآن، أطروحة دكتوراه، ص12.

[23]. صبري، خالد حميد، لسانيات النص، ص191.

[24]. السيوطي، جلال الدين، (دس)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، القاهرة، ط1، ص55.

[25]. ينظر: يقطين، سعد، (دس)، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المغرب، دط، ص115.

[26]. الميساوي، خليفة، المصطلح اللساني، ص193.

[27]. خمري، حسين، (2007م)، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، دب، ط1، ص201-202.

[28]. يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط، ص116.

[29]. الأحمد، نهلة، (2001م)، ما هو النص، سوريا، ع451، بحث 88.

[30]. علوي، حافظ إسماعيل، عندما تسافر النظرية، مجلة جسور(غير كامل)، ص16.

[31]. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني، ص196.

[32]. نعيمة، سعدية، (2016م)، تلقي لسانيات النص في الدرس اللساني العربي المعاصر-المصطلح والاتجاهات، ع9، ص129.

قائمة المصادر والمراجع:

1. دي سوسير، فاردیناند، 1986م، محاضرات في الألسنة العامة، دب، دط، ص186.
2. مصلوح، سعد، (1990م)، من نحو الجملة إلى نحو النص، دب، دط، ص 407.
3. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، (دس)، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، دب، دط، ص59.
4. آدمتسيك، كريستن، (2009م)، لسانيات النص، القاهرة-مصر، ط1، ص15.
5. حمداوي، جميل، (2019م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، المملكة المغربية، ط1،ص63.
6. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، ص63.
7. حمداوي، جميل، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، ص93.
8. المرجع نفسه، ص93.
9. الصبيحي، مُحَمَّد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالاته التطبيقية، ص117.
10. ينظر: المرجع نفسه، ص115.
11. ينظر: خطابي، مُحَمَّد، (2006م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، ص6.
12. المرجع نفسه، ص387.
13. ينظر: خطابي، مُحَمَّد، لسانيات النص، ص31.
14. ينظر: فضل، صلاح، (1996م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، لبنان، ط1، ص4.
15. ينظر: المرجع نفسه، ص139.
16. ينظر: دي بوجراند، روبيرت، (1998م)، النص والخطاب والإجراء، القاهرة، ط1، ص332.
17. الميساوي، خليفة، (2013م)، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، الرباط-المغرب، ط1، ص193-194.
18. صبري، خالد حميد، (2015م)، لسانيات النص في الدراسات العربية الحديثة، الرباط ، ط1، ص163.

19. الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن، (دس)، دلائل الإعجاز، دب، ط3، ص82.
20. المرجع نفسه، ص82.
21. الشاوش، محمّد، (2001م)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس، ط1، ص210.
22. لخلف، نوال، (2007م)، الانسجام في القرآن، أطروحة دكتوراه، ص12.
23. صبري، خالد حميد، لسانيات النص، ص191.
24. السيوطي، جلال الدين، (دس)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، القاهرة، ط1، ص55.
25. ينظر: يقطين، سعد، (دس)، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المغرب، دط، ص115.
26. الميساوي، خليفة، المصطلح اللساني، ص193.
27. خمري، حسين، (2007م)، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، دب، ط1، ص201-202.
28. يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط، ص116.
29. الأحمد، نهلة، (2001م)، ما هو النص، سوريا، ع451، بحث 88.
30. علوي، حافظ إسماعيل، عندما تسافر النظرية، مجلة جسور(غير كامل)، ص16.
31. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني، ص196.
32. نعيمة، سعدية، (2016م)، تلقي لسانيات النص في الدرس اللساني العربي المعاصر-المصطلح والاتجاهات، ع9، ص129.